العنف الاسري ضد المرأة من اكبر واهم المشاكل
حين يكون الضرب وسيلة التفاهم بين الازواج
الاعلان العالمي لحقوق الانسان: العنف ضد المرأة أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس

بشرى يوسف

في البداية يعد الرجل المراة بحياة زوجية مستقرة وهادئة وما هي الا فترة قصيرة بعد الزواج حتى تتكشف الحقائق وما تلبث وعود الحياة الهانئة ان تنقلب الى غيرة قاتلة او شك اوعقدة نقص او غيرها من اسباب كثيرة.. والنتيجة واحدة عنف مسلط على المرأة والعنف في الغالب لاياخذ منحا واحدا ولايقف عند منعطف، بل يتذبذب بين ضرب مبرح، واعتذار، واسرضاء، ووعيد بعدم التكرار.. وما ان تسامح الزوجة حتى يعود الزوج بعد فترة الى الفعل العنيف وهكذا يعاد المسلسل، ويتفاقم الوضع حتى يصل الى كارثة في اغلب الاحيان.. سلمى 34 عاما ترقد في المستشفى تعاني من كسور في ضلعين من اضلاعها ورضوض وبقع زرقاء تملا جسدها حين نقلها الجيران الذين احتشدوا على باب شقتها بعد سماع صراخها وبكاء اطفالها وهروب الزوج بعد الحادثة التي كادت تودي بحياة زوجته لولا تدخلهم.

من هنا تبدا قضيتنا.. العنف الاسري ضد المرأة الذي يعتبر من اهم واكبر المشاكل التي تواجه الاسرة وتؤدي الى ضياع لغة التفاهم بين الازواج وتوتر الحياة العائلية بشكل عام، وفي كثير من الاحوال تؤدي الى تفكك البيت والطلاق، ويزيد الامر سوء اذا ما كانت هذه الممارسات تحدث امام الاطفال، مما قد يؤدي الى فقدان الطفل للأمان ومن ثم تصل الى ضياع الاطفال والتسبب لهم بالحالات النفسية والعقد النفسية التي تظهر مع مرور الوقت.

تكتسب مشكلة العنف ضد المرأة بعداً عالمياً بتخطيها جميع الحدود الثقافية والدينية والعرقية لتطال جميع المجتمعات وبلا استثناء وحتى المتحضرة منها. ويعرف الإعلان العالمي الذي أصدرته الجمعية العامة في كانون الأول 1993 العنف ضد المرأة بأنه ((أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه أو يرجع ان يترتب عليه أذى أو معاناة للمرأة سواء من الناحية الجسمانية او الجنسية أو النفسية بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث في الحياة العامة أو الخاصة)) .

ومع كل ضجيج وصخب المؤتمرات العالمية النسائية والمواثيق الدولية تتنامى موجة العنف ضد النساء. ففي المجتمع العربي يصعب رصد الظاهرة الا من خلال ملفات المحاكم المتزايدة، وملفات المستشفيات حيث تتنوع مستويات العنف ابتداء من الضرب الجنوني الذي يخلف العاهات وانتهاء بالحرق او القتل. والمرأة تنال كل انواع التنكيل ان تجرأت على رفع صوتها ولو كان احتجاجا لرفع ظلم او احقاق حق، والادهى من كل ذلك ان العنف داخل الاسرة في مجتمعاتنا العربية يدخل في اطار السلوك اليومي العادي الذي لا يثير استنكار المجتمع، فضلا عن عدم تصنيفه في خانة السلوك الجنائي الذي يعرض صاحبه للمساءلة القانونية وفي هذا السياق يتحول بعض الازواج الى جلادين متمرسين يتفننون في تعذيب المرأة وتدميرها.

تقول السيدة هناء متحدثة عن زوجها "وقع خلاف في احد الايام بيني وبين زوجي وكان ذلك بعد زواجي بما يقارب الثلاثة اشهر وما كان منه الا ان ضربني وكان يعلم انني حامل في شهري الثاني ولكن لم يشفع ذلك لي، حتى تسبب بنزيف نتج عنه سقوط الجنين. ولم اعلم ماهو الذنب الذي اقترفته ليعاقبني بهذه الطريقة، لكن هذا ما حدث".

العنف ظاهرة عالمية تقول عنها الناشطة النسوية سناء البناء: تعتبر ظاهرة العنف ضد المرأة لكونها انثى، ظاهرة عالمية تعاني منها المرأة في كل مكان واينما كانت، وان اختلفت اشكالها. وعلى الرغم من الانتشار الواسع لهذه الظاهرة الا انها لم تحظ بالاهتمام الكافي الا مؤخرا حيث بدأت الحركة النسوية العالمية تؤكد على أهمية ربط قضايا حقوق المرأة بقضايا حقوق الانسان واعتبار العنف ضد المرأة انتهاكا صارخا لحقوقها الاساسية. وفي محاولة لتسليط الضوء على هذه الظاهرة، واستخدام كافة الوسائل الممكنة للقضاء عليها، فإن هناك حملة عالمية تقام سنويا منذ أعلنت الجمعية العامة يوم 25 تشرين الثاني/نوفمبر اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة، ودعت الحكومات والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية إلى تنظيم أنشطة في ذلك اليوم تهدف إلى زيادة الوعي العام لتلك المشكلة (القرار 134/54، المؤرخ في17 كانون الأول/ديسمبر 1999). وقد درج أنصار المرأة على الاحتفال بيوم 25 تشرين الثاني/نوفمبر بوصفه يوماً ضد العنف منذ عام 1981. وقد استُمد ذلك التاريخ من الاغتيال الوحشي في سنة 1960 بناء على أوامر الحاكم الدومينيكي روفاييل تروخيليو (1936-1961)، للأخوات الثلاثة ميرابال اللواتي كن من السياسيات النشيطات في الجمهورية الدومينيكية.

ثم تشير البناء الى "أن العنف الاسري يعني ضرب واهانة الزوجة والاطفال بأشكال متعددة، وقد يقوم بذلك الزوج أو الأب حيث يتمتع الرجل في المجتمعات الابوية بمكانة وسلطة، وفي مجتمعنا

العربي ما زالت قضية العنف الاسري وضرب الزوجات مسألة مجهولة ويتم التكتم عليها، ولم نجرؤ حتى الآن على دراسة وتشخيص هذه المشكلة بشكل جدي، والبحث عن طرق ناجحة لمعالجتها أو توفير الدعم المساند للمرأة التي تتعرض للعنف الاسري، مما يؤدي الى عدم وجود برنامج وآليات لمعالجة هذه المشكلة".

وهي تؤكد "إن القانون الذي يفترض أن يكون هو الملاذ الأول للمرأة فإنه مازال يفرق بين الرجل والمرأة في العديد من الدول العربية، فهناك قوانين تشدد العقوبة على المرأة دون الرجل في الجريمة الواحدة، كما أن من أشكال العنف ضد المرأة عنف المرأة ضد نفسها، فمثلاً أن المرأة تميز في تربيتها لابنائها بين الولد والبنت فتعطي كامل الحرية للولد في حين تقيد الفتاة وتحاصرها بأسلوب تربوي خاطئ، وتعطي الحق لأخيها في أن يعاملها بأساليب غير سوية، بالإضافة إلى أن المرأة تعاني كثيرا عدم معرفتها لحقوقها، وهي مازالت راضية عن وضعها الحالي وذلك كارثة كبيرة، حين تتعرض المرأة للعنف الجسدي من اعتداء الزوج أو الأخ حتى للأسف اعتداء الابن على أمه.

وتقول "أن السبب الرئيسي في كل ذلك هو انتشار الثقافة الذكورية في المجتمع، بالإضافة إلى الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع وخاصة مع ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض مستوى التعليم، وهناك عنف إعلامي تعانيه المرأة يقوم بدور سلبي ويرسخ صورة سلبية ضد المرأة، حين تأخذ المرأة أنماطا وصورا معينة تسيء للنساء، ونحن لا نريد تحميل المرأة أو نقل صورة مغايرة للحقيقة، ولكن نطالب بنقل صورة المرأة الحالية". وشددت على أهمية التعاون بين جميع الجهات والهيئات لزيادة التوعية ونشر ثقافة حقوق المرأة والدفاع عنها، وانتزاع هذه الحقوق في ظل الانتهاكات المتواصلة لحقوق المرأة.

ويحكي الواقع قصصا غريبة

*هدى تعمل موظفة في احد المؤسسات الاهلية متزوجة منذ خمسة عشر عاما ولديها عدد من الاطفال تقول: ارتبطت بزوجي عن رغبة واقتناع فهو من اقربائي ولكنني اعيش غاضبة في منزل والدي اكثر من بقائي في منزلي، لان زوجي عصبي ولا يقبل باي حال من الاحوال المناقشة، الامر الذي يجعلني باستمرار اواجه الضرب والاهانة، هو يستعمل

كل ماهو قريب من يده ليرميه علي وبالتاكيد فان يداه تشاركان في المهمة.
وحين سألناها عن الاسباب قالت: لا شئ يبرر الاهانة انه يضربني بلا سبب، واذكر انه ذات مرة امسك بي من شعري ليرمي بي الى الشارع في منتصف الليل بملابس النوم لمجرد ان الطعام لم يرق لمزاجه وبقيت في البرد وحدي حتى انقذني الجيران، لقد زرت المستشفيات كثيرا بسبب الكدمات والجروح التي لا يتردد في تقديمها لي في فترات متقاربة.
* اما امل فهي نموذج للمرأة المدركة لحقوقها الشرعية، تبدا امل في الحديث قائلة: تزوجته وانا ادرس في المراحل الاولى من الجامعة يكبرني بسنوات عدة، بدأت الماساة منذ ليلة الزفاف فقد تلقيت اول درس من دروس الاهانة، حيث صفعني لمجرد انني تاخرت في جلب كأس ماء له واستمر الضرب الذي كنت بسببه ارقد في المستشفى بسبب كدمات خطيرة او نزيف حاد.. واقفال باب المنزل علي حين اكون لوحدي كي لا اذهب لزيارة اهلي فقد كان يمنعني من الذهاب الى أي مكان وبعد ان فاض بي الكيل وصبرت اكثر من ست سنوات وبعد ان توظفت كان يستولي على كل رواتبي، لكنني لم ارض على نفسي الاهانات التي كنت اتلقاها فقررت ان اشتكيه الى الجهات المختصة، وهنا كانت التقارير الطبية التي تسجل الضرب، دليلا امام القاضي الذي قال لي ان امرك بيدك.. وأعطتني المحكمة حق الخلع منه بناء على المحاضر التي تعهد فيها مسبقا بعدم الضرب واستنادا الى التقارير الطبية.
- الم يخيفك شبح الطلاق الم يقيدك اطفالك؟
- لقد فكرت كثيرا قبل اتخاذ القرار خاصة وانني اعرف انه سيحرمني من بناتي، ولكنني رفعت قضية اخرى لاحتضانهن والحمد لله استعدت بناتي .
ان الحقوق لا تعطى بل تؤخذ وفي نهاية حديثها اشارت امل الى "اننا يجب ان نتحدث عن مثل هذه القضايا ونكسر جدار الصمت لاجل صحة المجتمع فمن الذي سيبني الأجيال اذا أهينت المراة وقبلت الاهانة؟!!

التصدي للعنف ضد المرأة

ان مكافحة العنف ضد المرأة لا يمكن أن يكون بالشعارات والكلام فقط، ولابد من تكاتف الجميع والعمل باستمرار من جميع الجهات المسئولة لدعم حقوق المرأة، والحد من

الانتهاكات التي تحدث في حقها.. وقد قادت النساء في جميع أنحاء العالم حملات شجاعة وملهمة ضد هذا العنف، ونجحن في إحداث تغييرات رائعة في القوانين والسياسات والممارسات؛ ولكن العنف لا يزال مستمراً. ونعود الى الفرق بين المجتمعات العربية والغربية في هذا الجانب فنقول: انه في الغرب توجد مراكز بالامكان اللجوء اليها، حيث تتم حماية ضحايا العنف الاسري. اما في بلداننا فلا توجد مثل هذه المراكز. وان وجدت فهي قليلة وتحاط بسرية تامة حفاظا على حياة اللاجئات اليها، والمشكلة التي تواجهها هذه المراكز، أن الزوجات لا يتجرأن على تقديم شكوى على ازواجهن في حال تعرضهن للعنف بمختلف انواعه..كما ان الشرطة لا تأخذ بشكوى زوجة على زوجها او ابن على والده او والدته.